ما بين

إبراهيم وإسماعيل ومحمَّد

عليهم السلام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. سنتناول مسألة يعتبرها معظم المسلمين من البدهيات ، وهي علاقة النبيّ محمَّد ﷺ بالنبيِّ إسماعيل عليه السلام ، وكون النبي إسماعيل عليه السلام الذبيح المعني في كتاب الله تعالى .. هذه البدهية عند معظم المسلمين ، وقف عندها بعض الإخوة في الماضي والحاضر ، معتبرين الذبيح اسحاق عليه السلام ..

.. هناك من احتجَّ بكون البشرى بإسحاق دليلاً على أنَّ إسحاق عليه السلام هو الولد الأوَّل لإبراهيم عليه السلام ، بمعنى لم يكن عنده ولد قبل هذه البشرى ..

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا

لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٦٩ – ٧٤]

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الذاريات : ٢٤ – ٣٦]

.. جوهر الأمر يتعلَّق بكون البشرى – في أصلها – لامرأة إبراهيم عليه السلام ، ومن ثمَّ هي بشرى لإبراهيم عليه السلام ، هذه الحقيقة نراها في سورة هود .. لننظر إلى فاءات الترتيب والتعقيب المباشر في النصِّ الحامل لهذه المسالة في سورة هود ..

.. رسل الله تعالى جاءت إبراهيم عليه السلام بالبشرى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ .. وفوراً ودون تريث جاء بعجلٍ حنيذ : ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ .. وبعد أن جاء بالعجل الحنيذ ، فوراً ودون تريّث رأى حقيقتهم بأنَّهم مجرَّد صور بشريّة وليسوا أجساداً ماديّة كأجسادنا : ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ ، وفي هذا

الحال كانت امرأته قائمة : ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ ﴾ ، فضحكت نتيجة ما شاهدته من كونهم صوراً وليسوا أجساداً : ﴿ فَضَحِكَتۡ ﴾ ... حتّى الآن لا تُوجد بشرى لإبراهيم عليه السلام ولا لامرأته .. الآن .. فوراً ودون تريّث بعد أن ضحكت امرأة إبراهيم جاءها هي البشرى ، وليس لإبراهيم عليه السلام : ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ ..

.. كلُّ ذلك حصل قبل أن يذهبَ الرَّوْعُ عن إبراهيم عليه السلام وقبل أن تأتيه البشرى ، بعد ذلك ذهب الرَّوْعُ عن إبراهيم عليه السلام ، وجاءته البشرى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾ .. إذاً .. البشرى تلقَّاها إبراهيم عليه السلام بعد تلقِّي امرأته لها .. فقد تلقَّاها كونه زوجاً لها ، وكون ابنها ابناً له ..

.. وفي سورة الذاريات لا يختلف ترتيب الأحداث .. فالعبارة القرآنيّة في سورة الذاريات ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾ تصوِّر الأحداث من مرحلة ما بعد تلقّي امرأة إبراهيم عليه السلام البشرى ، حيث رأينا ذلك في سورة هود ..

.. والعبارات القرآنيّة التالية مباشرة لهذه العبارة : ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾ في سورة الذاريات والمصوِّرة للبشرى التي تلقّاها إبراهيم عليه السلام بالغلام العليم (إسحاق) ، هذه العبارات : ﴿ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ تصوِّر مرحلة لاحقة لتلّقي امرأة إبراهيم للبشرى التي رأيناها في الآية (٧١) في سورة هود : ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ

﴿ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ ... بمعنى أنَّ هذه العبارات ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ في سورة الذاريات تصوِّر موقفاً آخر لامرأة إبراهيم عليه السلام ، مختلفاً عن الموقف الذي رأيناه في سورة هود ..

.. فترتيب الأحداث ما بين سورتي هود والذاريات هو على الشكل التالي :

١ – مجيئ الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام حاملين البشرى :

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ [هود : ٦٩]

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ [الذاريات : ٢٤ – ٢٥]

٢ – وصفه لضيوفه بأنَّهم قوم منكرون كونهم ليسوا معروفين ، وتقديم الطعام لهم ، ونكرانه لهم مع الخوف الذي تملكه كونهم صوراً وليسوا أجساداً ماديّة بشريّة :

﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٦٩ – ٧٠]

﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ﴾ [الذاريات : ٢٥ – ٢٨]

٣ – امرأة إبراهيم عليه السلام كانت قائمة وشاهدة على هذا الحدث ، فضحكت من المشهد ، فتلقّت البشرى بإسحاق عليه السلام ومن ورائه بيعقوب عليه السلام ..

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١]

٤ – تعجّب امرأة إبراهيم عليه السلام من هذه البشرى كونها عجوزاً وكون بعلها شيخاً ، وإجابة الملائكة على تعجّبها هذا :

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود : ٧٢ – ٧٣]

٥ – تلقّي إبراهيم عليه السلام للبشرى :

﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨]

٦ – بعد مجيء البشرى لإبراهيم عليه السلام ، هناك موقف آخر لامرأته (مختلف عن تعجّبها الذي رأيناه في سورة هود) ، وهناك إجابة أُخرى للملائكة على موقفها الآخر هذا :

﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : ٢٩ – ٣٠]

٧ – سؤال إبراهيم عليه السلام للملائكة عن ماهيّة مهمَّتهم ، على الرغم من علمه المسبق أنّهم مرسلون إلى قوم لوط عليه السلام : ﴿ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٧٠] :

﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الذاريات : ٣١ – ٣٤]

٨ – بعد ذلك ، حيث استفسر إبراهيم عليه السلام عن الملائكة وجاءته البشرى ، نرى إبراهيم عليه السلام يجادل في قوم لوط عليه السلام :

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٧٤]

.. هذا هو ترتيب الأحداث ما بين سورتي هود والذاريات ، حيث لم تُذكَر قصّة امرأة إبراهيم عليه السلام إلاَّ فيهما ..

.. وتعجّب امرأة إبراهيم واستفسارها من هذه البشرى في هاتين السورتين ، وردُّ الملائكة على ذلك ، نراه في كتاب الله تعالى مسألة كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر (معجزة العدد — ١٩ — في كتاب الله تعالى) :

﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : ٢٩ — ٣٠] = ٥٥٩

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾

[هود : ٧٢ — ٧٣] = ٧٥٢

٥٥٩ + ٧٥٢ = ١٣١١ = ١٩ × ٦٩

.. وحتَّى لو أخذنا فقط الآيتين المصوِّرتين لتعجّب امرأة إبراهيم عليه السلام ، لكنّا أمام مسألة كاملة ، وكذلك الأمر لو أخذنا الآيتين المصوِّرتين لإجابة الملائكة ..

﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [الذاريات : ٢٩]

= ٣٦٢

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾

[هود : ٧٢] = ٣٦٠

٣٦٠ + ٣٦٢ = ٧٢٢ = ١٩ × ١٩ × ٢

﴿ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : ٣٠] = ١٩٧

﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [هود : ٧٣] = ٣٩٢

١٩٧ + ٣٩٢ = ٥٨٩ = ١٩ × ٣١

.. من هنا نرى أنَّ البشرى هي في جوهرها لامرأة إبراهيم عليه السلام ، وهذا لا ينفي أبداً أن يكون عنده قبل هذا الغلام المبشّر به ابنٌ له من غيرها ، وهذا هو الواقع الذي نراه جليّاً في سورة الصافات :

﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾ [الصافات : ١٠١] = ١٣٣ = ١٩ × ٧

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] = ٦٤٥

﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ [الصافات : ١٠٣] = ١٠٩

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ [الصافات : ١٠٤] = ٨٥

﴿ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٥] = ٢٦٠

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الصافات : ١٠٦] = ٨٨

﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴾ [الصافات : ١٠٧] = ١٥٣

﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٨] = ١٢٥

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات : ١٠٩] = ٧١

﴿ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١١٠] = ١٤٣

﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الصافات : ١١١] = ٨٨

+ ١٤٣ + ٧١ + ١٢٥ + ١٥٣ + ٨٨ + ٢٦٠ + ٨٥ + ١٠٩ + ٦٤٥ + ١٣٣

= ٨٨ = ١٩٠٠ = ١٩ × ١٠٠

﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] = ١٩٠ = ١٩ × ١٠

.. النصُّ واضح وصريحٌ في عدةِ أمورٍ لا يمكن القفزُ فوْقَها .. ففي هذا النصِّ المصوِّر للغلام الحليم ، لا ذكر لامرأة إبراهيم عليه السلام ، كما هو الحال في النصوص التي رأيناها .. ومن جهةٍ أُخرى ، الآيات من الآية (١٠١) حتّى (١١١) تتحدَّث عن شخصٍ آخر ، مختلف عن الشخص الذي تتحدَّث عنه الآية التالية لها مباشرة (١١٢) : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، ولذلك رأينا هذه الآيات الكريمة مسألة كاملة في معجزة إحدى الكُبَر [معجزة العدد (١٩) في القرآن الكريم] ..

الله تعالى لم يربط هذه الآية الكريمة : [﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ = ١٩٠ = ١٩ × ١٠] بالغلام الحليم ولا بما يشير إليه ... يعني : الله تعالى لم يقل : ((وبشّرناه به نبيّاً من الصالحين)) ، وذلك بعد قوله تعالى مباشرة : ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ..... أبداً ..... ما نراه هو وجود مجموعة آيات كريمة تفصل هاتين الآيتين :

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وهي كما نرى تخصُّ إبراهيم عليه السلام دون الغلام الأوَّل الحليم .. بعد ذلك .. هناك كلامٌ جديدٌ بمسألة جديدة تخصُّ شخصاً آخر هو إسحاق عليه السلام : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ..

.. وحتّى لو وردت الآية الكريمة ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ بعد الآية ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ مباشرة ، فإنَّ البشرى ليست في نبوّة الغلام الحليم ،

البشرى هي في شخص إسحاق الذي سيكون نبيّاً من الصالحين ..... فالله تعالى لم يقل : ((وجعلناه نبيّاً من الصالحين)) ، ولم يقل : ((وبشّرناه به نبيّاً من الصالحين)) ، أبداً ، الله تعالى يقول ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ .. إذاً .. هناك بشرى ثانية بشخصٍ آخر هو إسحاق ، وهذا الغلام ((إسحاق)) سيكون ﴿ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ .. هكذا يقول النص ..

.. إذاً .. هناك ابنان لإبراهيم عليه السلام ، ابنٌ حليم هو الذبيح ، وهو أوَّل من بُشِّر به إبراهيم عليه السلام .. وابنٌ آخر هو إسحاق : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ، بُشِّر به إبراهيم عليه السلام لاحقاً .. هذان الابنان .. نراهما في قوله تعالى التالي ((الذي نرى فيه ذكر إسماعيل قبل إسحاق كونه الأكبر)) : ﴿ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ ..

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم : ٣٩]

.. هنا الهبة التي يحمد إبراهيمُ اللهَ تعالى عليها ، تضمُّ إسماعيل وإسحاق ، فلا يُوجَدُ تخصيصٌ لأحدهما دون الآخر في حيثيّات هذه الهبة ، فكلاهما ضمن إطار هبةٍ واحدةٍ وُهِبَت لإبراهيمَ عليه السلام كمعجزة له خارقة للناموس في كِبَرِه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ ، ولو كان إسماعيل عليه السلام قد وهبه الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ، بحيثيّة غير حيثيّة الهبة التي وهبه الله تعالى بها إسحاق ، لبيّن لنا النصُّ القرآنيُّ ذلك ..

.. وفي الصياغة ﴿ وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ بيانٌ أنَّ ما وهبه الله تعالى لإبراهيم عليه السلام في كِبَرِه هو إسماعيل وإسحقَ كشخصين ، بعيداً عن أيِّ وظيفة

محدَّدة بعينها ، فالهبة مستمرّة وغير محدَّدة بعمل محدَّدٍ بعينه ، فلو كان المعني بهبة إسماعيل لإبراهيم عليهما السلام هو فقط المساعدة في رفْع القواعد من البيت ، لما وُضِعَ إسماعيلُ مع إسحق عليهما السلام في إطار هبةٍ واحدة ، وفي إطارِ هبةٍ شخصيّةٍ مستمرَّةٍ مجرَّدةٍ عن حدثٍ محدَّدٍ بعينه ..

.. هذه الصياغة : ﴿ وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ ، نراها تختلف عن صياغة الآية الكريمة التي تبيِّن أنَّ الله تعالى وهب هارون لموسى عليهما السلام : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٣] ، ففي هذه الآية الكريمة نرى ورود كلمة : ﴿ أَخَاهُ ﴾ ، ونرى ورود كلمة ﴿ نَبِيًّا ﴾ .. بمعنى : وهبَ له النبوَّة في أخيه هارون بجعله نبيّاً كي يشدَّ أزره .. فهارون عليه السلام هو أخٌ لموسى عليه السلام قبل هذه الهبة ، لكنَّ الهبة هي جعله نبيّاً يشدُّ أزرَ موسى عليه السلام ..

.. فلو أنَّ إسماعيل عليه السلام وهبَه اللهُ تعالى لإبراهيم لعملٍ محدَّدٍ هو رفْع القواعد من البيت فقط ، لما عُطِف عليه إسحاق في إطارِ هبةٍ واحدة في كِبَر إبراهيم عليه السلام ، فجوهر الهبة أنه رُزق هذين الابنين وهو في كِبَره ..

.. إذاً البشرى بالغلام الحليم وهو إسماعيل عليه السلام ، هي بشرى سابقة للبشرى بغلام آخر وُصف بالعليم هو إسحاق عليه السلام .. والبشرى بالغلام الحليم إسماعيل (حيث الصبر على الذبح يتطلَّب هذه الصفة) لم ترد في كتاب الله تعالى إلاَّ في آية واحدة في سياق قصّة الغلام الذبيح ، وهي مسألة كاملة كما رأينا ..

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١] = ١٣٣ = ١٩ × ٧

.. والبشرى بالغلام العليم إسحاق عليه السلام وردت في عدة نصوص ، هي مسألة كاملة ..

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [هود : ٦٩] = ١٨٤

﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] = ٢٤٠

﴿ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [هود : ٧٤] = ٨٦

﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر : ٥٣] = ١٢٢

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [العنكبوت : ٣١] = ١٥٩

﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] = ١٩٠ = ١٩

× ١٠

﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨] = ١٢١

١٨٤ + ٢٤٠ + ٨٦ + ١٢٢ + ١٥٩ + ١٩٠ + ١٢١ = ١١٠٢ = ١٩ × ٥٨

.. ومّما يؤكِّدُ أنَّ الذبيح ليس إسحاق (وبالتالي هو إسماعيل) هو قوله تعالى :

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١]

.. رأينا كيف أنَّ هذه البشرى تلقَّتها امرأة إبراهيم عليه السلام ، ومن بعدها إبراهيم عليه السلام ، ومن المؤكَّد أنَّ إسحاق حين تلقِّي امرأة إبراهيم عليه السلام لهذه البشرى لم يُولَد بعد .. ومن المؤكَّد أنَّ إسحاق هو أب (والد) يعقوب عليهما السلام ..

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٣]

.. لذلك نقول .. في هذه البشرى : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ ، دليلٌ على أنَّ إسحاق سيكبر وسيتزوَّج وسينجب ولداً

اسمه يعقوب .. هكذا بُشِّرت امرأة إبراهيم وإبراهيم عليه السلام .. ومن المؤكَّد أنَّ إبراهيم عليه السلام يؤمن بما بُشِّر به هو وامرأته ..

.. إذاً .. إبراهيم عليه السلام كان يعلم أنَّ إسحاق عليه السلام سيعيش وسيتزوج وسينجب ، فكيف إذاً سيكون هو الذبيح ؟!!!!!! .. كيف سيذهب إلى ذبح ابنه الذي يعلم من الله تعالى أنَّه سيعيش وسيتزوَّج وسينجب ولداً اسمه يعقوب عليه السلام ؟!!!!!! .. هذا من جملة الأدلّة التي تثبت أنَّ إسماعيل عليه السلام هو الذبيح وليس إسحاق عليه السلام ..

.. والنصُّ الكريم ..

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

[البقرة : ١٢٧ – ١٢٩]

.. هذا النصُّ الكريم يؤكِّد بما لا يقبل الجدل أنَّ إسماعيل هو ابن إبراهيم عليهما السلام .. فالعبارة ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾ تؤكِّد أنَّ ذريّةَ إسماعيل هي من ذريّةِ إبراهيم ، ولو كان إسماعيل ليس ابناً لإبراهيم ، لكانت ذريّته ذريّةً أُخرى غير ذريّة إبراهيم عليه السلام ، بمعنى لكان لكلٍّ منهما ذريّة خاصّة مستقلّة عن ذريّة الآخر ، وبالتالي – في حال كون إسماعيل ليس ابناً لإبراهيم – نحن أمام ذريّتين اثنتين ، وبالتالي لجاءت العبارة : (ومن ذريّتينا) .. لكن ما نراه أنَّ العبارة القرآنيّة هي : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾ ، فذريّةُ إسماعيل عليه السلام هي في إطار ذريّةِ إبراهيم عليه السلام ، وبالتالي فنحن أمام ذريّة واحدة وليس

ذريّتين اثنتين ، ولذلك نرى الصياغة القرآنيّة ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾ .. فكيف إذاً لا يكون إسماعيل ابناً لإبراهيم عليه السلام ؟ ..

.. وممّا يؤكِّد صحّةَ ما نذهب إليه هو العبارة ﴿ مِن ذُرِّيَّتِى ﴾ في الآية الكريمة :

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] ..

.. العبارة القرآنيّة ﴿ مِن ذُرِّيَّتِى ﴾ تصف الفرد الشخصَ ابن إبراهيم عليه السلام الذي أسكنه إبراهيم عليه السلام عند بيت الله تعالى : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ ، وهذا الشخص الفرد ستكون له فيما بعد ذريّة ، وسيصبح أمّةً ، لذلك ، نرى إبراهيم عليه السلام يتّجه إلى الله تعالى بدعاء آخر مستقلٍّ عن الدعاء الأوَّل ، بدليل تكرار كلمة ﴿ رَبَّنَا ﴾ في ذات الآية الكريمة : ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ .. إذاً .. العبارة ﴿ مِن ذُرِّيَّتِى ﴾ تتعلَّق بإسماعيل عليه السلام كفرد ، ولذلك نرى تكامل هذه العبارة القرآنيّة مع كلمة ﴿ إِسۡمَٰعِيلَ ﴾ ..

﴿ مِن ذُرِّيَّتِى ﴾ + ﴿ إِسۡمَٰعِيلَ ﴾ = ٥٥ + ٤٠ = ٩٥ = ١٩ × ٥

.. بينما الدعاء الثاني في ذات الآية الكريمة ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ يتعلَّق بذريّة إسماعيل عليه السلام ، والتي منها سيكون الرسول (محمّد ﷺ) الذي دعا لبعثه إبراهيم عليه السلام ..

.. وهذا الابن لإبراهيم والذي أسكنه إبراهيم عليه السلام عند بيت الله تعالى ، هو ذاته (إسماعيل) الذي ساعد أباه إبراهيم في رفْعِ القواعد من البيت ..

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧]

.. وهو ذاته الذي عهد الله تعالى إليه مع أبيه إبراهيم بتطهير بيت الله تعالى ..

﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥]

.. لذلك .. ليس من العبث أنَّ ما يربط إبراهيم عليه السلام ببيت الله تعالى ، نراه متعلِّقاً بابنه إسماعيل ، الذي أسكنه عند بيت الله تعالى من أجل هذه المهمّة ..

.. ومن المعلوم من كتاب الله تعالى أنَّ الله تعالى جعل إبراهيم عليه السلام إماماً للناس ، وجعل في ذريّته النبوّة والكتاب ، وإبراهيم عليه السلام له ابنان هما إسماعيل وإسحاق .. إذاً .. ميراث النبوّة والكتاب بعد إبراهيم عليه السلام ، تفرَّع إلى فرعين اثنين .. فرع إسماعيل عليه السلام ، وفرع إسحاق عليه السلام ..

١ – فرع إسماعيل عليه السلام الذي خرج منه الرسول المُبَشَّر به أحمد ﷺ ، فكما نعلم الاسم أحمد هو اسمه ﷺ قبل أن يُولد ..

﴿ إِبْرَٰهِيم ﴾ ⟵ ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ ⟵ ﴿ أَحْمَدُ ﴾

.. وبالتالي فهذا الفرع مسألة كاملة :

﴿ إِبْرَٰهِيم ﴾ + ﴿ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ + ﴿ أَحْمَدُ ﴾ = ٣٥ + ٤٠ + ٣٩ = ١١٤ = ١٩ × ٦

.. ولذلك نرى أنَّه في بعض آيات كتاب الله تعالى التي تصوِّر امتداد هذا الفرع المتعلّق ببيت الله تعالى ، يُذكَر فقط إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دون ذكر إسحاق وآل يعقوب (أو يعقوب) ويوسف عليهم السلام ..

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٥ – ١٢٧]

٢ – فرع إسحاق وآل يعقوب ويوسف عليهم السلام ..

﴿ إِبْرَٰهِيم ﴾ ⟵ ﴿ إِسْحَٰقَ ﴾ ⟵ ﴿ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ ⟵ ﴿ يُوسُفُ ﴾

.. وبالتالي فهذا الفرع مسألة كاملة :

﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ + ﴿ إِسْحَٰقَ ﴾ + ﴿ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ + ﴿ يُوسُفُ ﴾ = ٣٥ + ٤٨ +

٤٩ + ٣٩ = ١٧١ = ٩ × ١٩

.. ولذلك نرى أنَّه في بعض آيات كتاب الله تعالى التي تصوِّر امتداد هذا الفرع المتعلّق ببني إسرائيل ، لا يُذكَر إسماعيل عليه السلام ، وما يُذكر هو إسحاق وآل يعقوب (أو يعقوب) ويوسف عليهم السلام ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف : ٦]

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف : ٣٨]

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [ص : ٤٥]

.. فَصْلُ إسماعيل عن خط إسحاق عليهما السلام ، هو مسألة تتعلَّق بوجود خطين متمايزتين في رسالة الله تعالى للبشر ، فخطُّ بني إسرائيل يختلف عن خطِّ رسول الأميّين ﷺ .. أليس النبيُّ محمَّدٌ ﷺ من نسل إبراهيم عليه السلام ؟ .. أليس النبيُّ محمَّد ﷺ (حيث الاسم محمَّد هو اسمه ﷺ بعد ولادته) هو دعوة إبراهيم عليه السلام ؟ ..

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧ – ١٢٩]

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] ..

.. ولو نظرنا إلى الصور القرآنيّة التي تصوِّر طلب إبراهيم عليه السلام بأن يبعث في هذه الأمّة رسولاً ، واستجابة الله تعالى ، ومنّته جلّ وعلا على المؤمنين بأن بعث فيهم الرسول ﷺ ، لرأينا كلاً منها مسألة كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ [البقرة : ١٢٩] = ٤١٨ = ١٩ × ٢٢

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [البقرة : ١٥١] = ٣٩٩ = ١٩ × ٢١

﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] = ٥٣٢ = ١٩ ×

٢٨

.. الآن .. لو نظرنا في دُعاءِ إبراهيمَ عليه السلام لرأيناه مُكوَّناً مِنْ قِسمين : قِسم يتعلّق بالرسالة ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾ ، وقِسم يتعلّقُ بصفاتِ الرسولِ الحامِلِ لهذهِ الرسالة ﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ .. وكلُّ قِسمٍ من هذين القسمين ، نراهُ مسألةً كاملةً في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ ﴾ = ١٥٢ = ١٩ × ٨

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ ﴾ = ٢٦٦ = ١٩ ×

١٤

.. ولو نظرنا في النصّين الثاني والثالث ، لرأينا كُلاً مِنهما مُكَوَّنـاً – أيضـاً – مـن قسمين ، قسم يتعلّق بالإجابة على القسم الخاص بالرسالة في دعاء إبراهيم عليه السلام ، وقسم يتعلّق بالإجابة على القسم الخاص بشخص الرسول ﷺ في دعـاء إبـراهيم عليـه

السلام .. وبجمع القِسمِ المُتعلِّقِ بالرسالةِ من هاتين الإجابتين نرى مسألةً كاملةً في مِعيارِ مُعجزةِ إحدى الكُبَر ..

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ﴾ = ١٣٠

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ = ٢٦٩

١٣٠ + ٢٦٩ = ٣٩٩ = ١٩ × ٢١

.. وَبِجمعِ القِسمِ المتعلِّقِ بصفاتِ الرسولِ الحامِلِ لهذهِ الرسالةِ ، من الإجابتين .. نرى أنّنا أمامَ مسألةٍ كامِلةٍ في معيارِ معجزةِ إحدى الكُبَر ..

﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ = ٢٦٩

﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ = ٢٦٣

٢٦٩ + ٢٦٣ = ٥٣٢ = ١٩ × ٢٨

.. ولو جمعنا القيم العدديّة للقسم الخاص بالرسالة في النصوصِ الثلاث لحصلنا على مسألةٍ كامِلةٍ ، قيمتُها العدديّةُ تساوي جِداءَ أساسِ مُعجزةِ إحدى الكُبَر (العدد — ١٩ —) بالقيمةِ العدديَّةِ لكلمةِ ﴿ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ .. كونَ القرآنِ الكريمِ جوهرَ الرسالةِ المعنيّة ..

﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ﴾ = ١٥٢

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ﴾ = ١٣٠

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ = ٢٦٩

١٥٢ + ١٣٠ + ٢٦٩ = ٥٥١ = ١٩ × ٢٩

﴿ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ = ٢٩

.. ولو جمعنا القيم العدديّة للقسم الخاص بالشخص الحامل لهذه الرسالة في النصوصِ الثلاث ، لحصلنا على مسألةٍ كامِلةٍ قيمتُها العدديّةُ تساوي جِداءَ أساسِ

مُعجزةِ إحدى الكُبَر (العدد – ١٩ –) بالقيمةِ العدديَّةِ لكلمةِ ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ .. كونَ محمّدٍ ﷺ هو الحامل لهذه الرسالةِ المعنيّة ..

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ = ٢٦٦

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ = ٢٦٩

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ = ٢٦٣

٢٦٦ + ٢٦٩ + ٢٦٣ = ٧٩٨ = ١٩ × ٤٢

﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ = ٤٢

.. إذاً .. ذكْرُ أسماء الرسل عليهم السلام يتعلَّق بالمسألة المحمولة بالعبارات القرآنيّة .. لذلك .. عندما يكون السياق القرآني متعلِّقاً بخطِّ الرسالة الخاتمة الذي يمرُّ من بيتِ الله تعالى ، نرى ذكر إسماعيل مع إبراهيم عليهما السلام ، دون ذكر الخطّ الآخر (إسحاق – يعقوب – يوسف) :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٥ – ١٢٧]

.. وهذا يعيدنا إلى الهدف الذي من أجله أسكن إبراهيمُ ابنَه إسماعيل عليهما السلام عند بيت الله تعالى ..

.. أمّا حينما يكون الأمر متعلّقاً بعبادة الله تعالى بعيداً عن خصوصيّة أيٍّ من هذين الخطّين ، نرى ذكراً لرسل الخطّين :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦]

﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٠]

﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٤]

﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [النساء : ١٦٣]

.. من هنا نرى أنَّ عدم ذكرِ إسماعيل عليه السلام مع الخطِّ الآخر المتفرِّع من إبراهيم عليه السلام ..

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [يوسف : ٦]

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يوسف : ٣٨]

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [ص : ٤٥]

.. ليس دليلاً على أنَّ إسماعيل عليه السلام ليس من ذريّةِ إبراهيم عليه السلام .. أبداً ..... والآية الكريمة التالية تؤكِّد بما لا يقبل الشكَّ أنَّ اسماعيل عليه السلام من آباء يعقوب عليه السلام ..

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٣]

.. في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ ، لا يمكن للأبوّة إلاَّ أن تعني أبوّة الدم ، فنحن أمام فردٍ واحدٍ هو يعقوب ، ويرد له في هذه الآية الكريمة ثلاثة آباء ، منهم إسماعيل .. وإسماعيل في ساحة هذه الأبوّة من حيث التعلّق بالدم لا يختلف عن إبراهيم وإسحق ، ونراه يتوسطهما في هذه الآية الكريمة التي تُجمَع فيها الكلمات الثلاث : ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ ، في إطار تعلُّقها بأبوّة واحدة : ﴿ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ .. فكيف إذاً يمكننا أن نخلعَ كلمة : ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ ﴾ من هذه العبارة لنُحَمِّلها دلالةً (أبوّة العقيدة دون الدم) لا إشارة لها في هذا النصِّ الكريم ؟ ..

.. وفي كتاب الله تعالى تُطلق كلمة (أب) على الوالد والعم والجد وما علا ، فإسماعيل الذي هو عم يعقوب عليما السلام سُمي أباً له في هذه الآية الكريمة ..

.. ولإدراك هذه المسألة بأنَّ العم قد يُسمَّى في كتاب الله تعالى أباً ، لا بدَّ من الوقوف عند آزر الذي وُصف أباً لإبراهيم عليه السلام .. يقول تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٧٤] ..

.. فكلمة ﴿ ءَازَرَ ﴾ تُبيّن لنا أنَّ لإبراهيم عليه السلام أباً اسمه ﴿ ءَازَرَ ﴾ .. فما هي الرابطة الدمويّة بين ﴿ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ عليه السلام وبين ﴿ ءَازَرَ ﴾ ؟!!! .. ومن هو ﴿ ءَازَرَ ﴾ بالنسبة لإبراهيم عليه السلام ؟!!! ... للإجابة على هذا السؤال لا بدّ من العودة إلى سيرة حياة إبراهيم عليه السلام في كتاب الله تعالى ..

في بداية سيرة إبراهيم عليه السلام وقبل أن يكتشف أنَّ أباه ﴿ ءَازَرَ ﴾ عدوٌّ لله تعالى ، قبل ذلك وعد أباه ﴿ ءَازَرَ ﴾ بأن يستغفر له عند الله تعالى ..

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ [مريم : ٤٥ - ٤٧]

.. ولكن .. بعد ذلك .. وبعد أن تبيّن له أنَّ أباه ﴿ ءَازَرَ ﴾ عدوٌّ لله تعالى ، كان له موقفٌ آخر ..

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٣ – ١١٤]

.. إذاً .. إبراهيم عليه السلام لن يستغفر لأبيه ﴿ ءَازَرَ ﴾ بعد أن تبيّن له أنَّه عدوٌّ لله تعالى .. هذا ما ينطق به صريح كتاب الله تعالى .. وبالتالي فأيُّ استغفارٍ بعد ذلك يقوم به إبراهيم عليه السلام لأيٍّ كان لا يمكن أن يعني أباه ﴿ ءَازَرَ ﴾ ..

.. وفي سيرة إبراهيم عليه السلام نرى أنَّ إبراهيم عليه السلام وبعد أن بلغه الكِبَر ، يستغفر لوالديه ..

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم : ٣٩ – ٤١]

.. إذاً .. من استغفر لهما إبراهيم عليه السلام عندما بلغه الكِبَر لا يمكن أن يكون منهما أبوه ﴿ ءَازَرَ ﴾ .. فآزر لم يستغفر له إبراهيم عليه السلام بعد أن تبيّن لإبراهيم أنَّه عدوٌّ لله تعالى .. إذاً .. ﴿ ءَازَرَ ﴾ ليس مشمولاً بدعاء إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ ..

.. وتتجلّى عظمة الصياغة القرآنيّة بورود صيغة ﴿ وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ بدل صيغة الأبوّة .. فإبراهيم لم يقل (ربّنا اغفر لي ولأبوي) إنّما قال ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ .. وهنا يظهر البرهان الأكبر أنَّ أباه ﴿ ءَازَرَ ﴾ لا يمكن أن يكون معنيّاً بهذا الاستغفار ، وأن والدي إبراهيم عليه السلام ليس منهما أبوه آزر ..

.. إذاً .. ﴿ ءَازَرَ ﴾ ليس والداً لإبراهيم عليه السلام ، وهو أب لإبراهيم عليه السلام .. من هنا نستطيع أن نستنبط أنّه عم لإبراهيم عليه السلام ، حيث العم – في كتاب الله تعالى – يُوصَف بالأب ..

.. إذاً .. إسماعيل عليه السلام هو أب (بمعنى عم) يعقوب عليهما السلام ، والـــذبيح من ابني إبراهيم هو إسماعيل عليهما السلام ، ومحمّدٌ ﷺ هو من نسل إسماعيل عليه السلام ، وإسماعيل عليه السلام هو من نسل إبراهيم عليه السلام ، وإبراهيم عليه السلام له ولدان هما إسماعيل وإسحق عليهما السلام ، وكلٌّ واحدٍ منهما حمل فرعاً مـــن فرعـــي رســـالة السماء إلى الأرض ..